مقدمة

شد اهتمامي منذ سنوات عندما كنت أُحضّر لدرجة الماجستير حول العلاقات العربية الإفريقية، قضية الإسلام واللغة العربية، وحركات التبشير في غرب إفريقيا التي تشهدها المنطقة، فمكنتني الظروف من زيارة بعض مناطق غرب إفريقيا، منها: تنبكت، وجاو، وأروان، وجني، وأقدز، وطاو وغيرها من المناطق التى تتنافس عليها حركات التبشير ورأيت الحركات التبشيرية تجوب هذه المناطق طولا وعرضا، تحت اسم الإغاثة من الجفاف، ولكن في الحقيقة كان هدفها الأول محاربة الإسلام واللغة العربية، ومحاولة تقليصها بتمسيح المنطقة ومسخ الشخصية الإفريقية المسلمة، وهدم المساجد، وبناء الكنائس. والشيء الذي أثر في نفسي كثيرا أن من يدخل المسيحية من أبناء إفريقيا توضع له إشارة الصليب على جبهته وكتفه الأيمن.

وموقف الكنيسة الكاثوليكية من انتشار اللغة العربية والدين الإسلامي في غرب إفريقيا موقف عدائي منذ القدم، وهذا التقرير الذي نورده مثال على العداء المستمر للغة العربية والإسلام، ما بعث به السيد باريبي المسئول للبعثات التبشيرية في السنغال بتاريخ 1856/5/29 إلى السيد مايسترو مدير المستعمرات الفرنسية.

ويؤكد السيد باريبي في هذا التقرير على استعمال وسائل جديدة للقضاء على المساجد، والمحاكم الإسلامية، وعرقلة فكرة تثقيف الشبيبة الإسلامية ثقافة عربية إسلامية، بل الوقوف ضد هذه الفكرة والقضاء عليها نهائيا. كما يقترح على وزير المستعمرات الفرنسية طرد أحد معلمي الكتاتيب القرآنية من السنغال؛ وتقليص

الأماكن التي تدرس فيها اللغة العربية من السنغال عامة ومدينة سان لويس خاصة.

ويعتبر السيد باريبي أحد معلمي الكتاتيب مصدرا من مصادر المشاغبة والبلبلة في مدينة سان لويس، وعائقا كبيرا أمام انتشار الحضارة الغربية في السنغال.

ويمثل هذا التقرير جزءا من مئات التقارير التي تواجه بها القوى الاستعمارية انتشار اللغة العربية والإسلام في غرب إفريقيا، فياله من قدر صار فيه الحفاة العراة يتطاولون على بناة الحضارة العربية الإسلامية الخالدة.

والمتتبع للموضوع سيدرك بسهولة أن قضية طرح الثقافة العربية في إفريقيا الغربية ماضيا وحاضرا ومستقبلا لا تطرح جزافا، ولا بمعزل عن قضايا الساعة والتطورات السياسية التي شهدتها القارة الإفريقية، وبالأخص منها التيارات المتطرفة التي يتعرض لها العالم العربي، ومحاولة تفتيته وتشتيته من قبل الإمبريالية الأوروبية، لا لسبب إلا للحفاظ على مصالحها المادية والامتيازات التي منحتها لنفسها، في غياب الطرف العربي الذي هو أحق وأولى بها منها، ولا يضيع حق طالما هناك مطالب به.

وكتابنا هذا لا يندرج في سياق آخر غير هذا السياق هذا من جهة، ومن جهة أخرى: إن طلابنا في الجامعات العربية، وخاصة منهم الذين يدرسون تدريجيا في مراحل العلوم التاريخية حتى الليسانس لا يجدون مراجع خاصة بإفريقيا سوى تلك التي نشرت من قبل، والتي لايتطابق محتواها العلمي وبرامجنا الجامعية.

والموضوع في حد ذاته يحاول أن يتطرق إلى توطيد ركائز الإسلام ولغته العربية في غرب إفريقيا، منذ زمن بعيد، مبينا علاقة الأفارقة بالدين الإسلامي واللغة العربية. ومما تجدر ملاحظته أن الأفارقة المسلمين لا يفرقون بين الدين الإسلامي، واللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية، فهذه العوامل بالنسبة لهم متكاملة ولا تتجزأ.

ومن جهة أخرى يحاول الموضوع أن يتطرق إلى المسخ الذي تعرضت له

الثقافة العربية بصفة عامة، واللغة العربية خاصة في إفريقيا الغربية بفعل الاحتلال الفرنسي.

وقد شرع الفرنسيون في طرد لغتنا من إفريقيا منذ سنة 1911، وذلك بصدور قرار الحاكم العام الفرنسي لإفريقيا الغربية، أي ما كان يعرف سابقا بالمستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا (L.A.O.F)، فقد منع هذا القرار استعمال اللغة العربية في المحاكم الإسلامية في المنطقة، وتحويل المحاكم الإسلامية إلى محاكم فرنسية، وطرد القضاة المسلمين منها، وتعويضهم بقضاة فرنسيين، وخلال خمسين سنة أو أقل استطاع الفرنسيون في غرب إفريقيا أن يكوّنوا نخبة إفريقيا موالية لهم: فكرا ولغة وثقافة ودينا بإيجادهم مدرسة فرنسية قوية في المنطقة مدعمة بالبعثات التبشيرية، التي كثيرا ما عمدت إلى تنصير الأفارقة بالقوة.

وما تناولنا تطور اللغة العربية في غرب إفريقيا إلا صرخة قوية، نريد بها جذب انتباه أهل الحل والعقد إلى الوضعية المتدهورة التي تعيشها لغة القرآن الكريم في إفريقيا، بين التجمعات الإسلامية، كما نتمنى النهوض باللغة العربية وتعليمها وإتقانها على الوجه الأكمل. وإذا كان بعض الطلبة الأفارقة الميسورين أو المحظوظين يستطيعون الانتقال من بلدانهم الأصلية إلى الجامعات العربية لدراسة هذه اللغة، فهناك أفراد بل أعداد كثيرة ليست لهم نفس الوضعية، ولا يملكون الإمكانيات الضرورية لشد رحالهم إلى الجامعات العربية لتعلم هذه اللغة والتمكن منها. فبدلا من أن يذهب الطلاب الأفارقة بعيدا عن ديارهم لتعلم اللغة العربية علينا أن نفكر في الوسائل والطرق، وكل الحلول الإيجابية التي تساعد فى نقل اللغة العربية إليهم.

وإذا علمنا أن الطلاب المسلمين الأفارقة لايزالون في وقتنا هذا ينتقلون إلى الجامعات الأوروبية لا ليدرسوا بلغات هذه الجامعات وإنما ليدرسوا اللغة العربية هناك، لعرفنا مدى تعطش هؤلاء للغة العربية ومدى تعلقهم بدراستها وتعليمها.

د. الهادي المبروك الدالي

9 - 9 - 2000